موت ابي طالب وخديجة الذي كان خسارة كبيرة بالنسبة للرسول حتى انه قال « والله ما نالت مني قريش شيئا اكرهه حتى مات ابو طالب » (٥) الا ان الهجرة الى الطائف اعقبتها عودة الى مكة استغلها الرسول في نشر الدعوة في الوفود العربية التيكانت ترد الكعبة ، ولما اسلم أهل المدينة وهاجر الرسول اليهم بدأت المعركة بين الطرفين بعدان أسرت قريش سعد بن عبادة، وكان هذا الحادث (٦) بداية الحرب الكلامية بين مكة والمدينة وبين شعراء المسلمين والمشركين ، حين ادركت قريش سعد بن عبادة وأسرته بعد بيعة الاوس والخزرج للرسول أصبح هذا الحادث مادة للملاحاة بين ضرار بن الخطاب الذي فخر باختطاف سعد وأسره فقال :

تداركت سعدا عنوة فأخذته ... وكان شفاء لو تداركت منذرا
ولم نلته طلت هناك جراحه ... وكان حريا ان يهان ويهدرا

وبين حسان بن ثابت الذي رد على أبيات ضرار بسخرية وفضح غروره :

لست الى عمرو ولا المرء منذر ... اذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا
فلولا أبو وهب لمرت قصائد ... على شرف البرقاء يهوين حسرا
فانا ومن يهدي القصائد نحونا ... كمستبضع تمرا الى أهل خيبرا
فلا تك كالو سنان يحلم أنه ... بقرية كسرى أو بقرية قيصرا

وما أن استقر الرسول بالمدينة حتى بدأ بتنظيم المجتمع الاسلامي وبناء أسس الدولة الجديدة وتكوين شخصيتها الدينية والسياسية والعسكرية، وقد تطلب منه كل ذلك جهودا وأعمالا كثيرة صرفها في سبيل تحقيق أهداف الاسلام العليا ورفع شان المسلمين بين أمم الارض.بادر أولا الى مواخاة الاوس والخزرج ثم حقق الاخاء بين المهاجرين والانصار لتوحيد صفوف المسلمين وجمع قوتهم لمواجهة الاخطار المحدقة بهم، وبهذا تكونت وحدة المسلمين الجماعية القائمة على الايمان ومبادئ القرآن وأبرم بعد ذلك معاهدة دفاعية مع اليهود لحماية المدينة ، وجهز عليه

السلام ، عدة سرايا وجهها لاستطلاع تحركات قريش وتحديد قوتها ، عكست شخصية المسلمين الداخلية ومهدت لبناء قوتهم الخارجية التي سرعان ما اكتست طابعا عسكريا عندما اصبح المسلمون بالفعل قوة ضاربة وجهازا منظما قادرة على مطاولة قريش والانتقام منها ، وهي التي طردت الرسول وأصحابه من مكة وما انفكت تطاردهم حتى عندما وصلوا الى المدينة واستقروا بها (٧) مكنت هذه السرايا المسلمين من اختبار قوتهم ومن تحسس قيمة الخصم وتقدير مدى استعداده وحجم سلاحه وأبرزت كذلك مكانة المسلمين ووضعيتهم المعنوية والعسكرية وكانت دليلا على قدرتهم على مواجهة كفار قريش وصد عدوانهم وايذانا بنضجهم للقتال وتحمل اعباء الحرب، وبرغم المستوى الذي بلغه المسلمون في الاعداد لمواجهة قريش خارج المدينة، فان الوضع الداخلي لم يكن مؤمنا تماما لان اليهود والمنافقين فيالمدينة اخذوا يتآمرون على الاسلاميتربصون بالمسلمين الدوائر لذلك تكفلت آيات قرآنية برد كيد هؤلاء الخصوم وأدت دورها في تعريتهم وفضح نواياهم وخباياهم (٨) ولم يدخر اليهود والمنافقون فيالمدينةوسعا في محاربة الاسلام والتشكيك في رسالة الرسول، وأدت بهم عداوتهم الى اختلاق الاكاذيب وتزوير الكتب مدعين انها نزلت من عند الله فنزل القرآن يفند مزاعمهم ويبطل اقاويلهم ويتوعدهم بالهلاك والعقاب (٩) ، وتمادوا في معاندتهم الرسول فتحدوه بأسئلة قصدوا بها الاحراج والتعجيز منها مطالبتهم اياه بكتاب ينزله من السماء فرد عليهم القرآن (١٠) ومنها سؤالهم عن الساعة وأيان تقوم فجاء رد القرآن « يسألونك عنالساعةايان مرساها ...»؟(١١)

ولم يكن الشعر غائبا عن هذه المعركة ، بل عاصرها في مختلف أطوارها وعكس مختلف مراحلها وأساليبها وخاصة بعد الهجرة الى المدينة.

ومن يتصفح ديوان حسان يدرك ان الشعر ظل حاضرا في المعركة منذ ان كانت سرايا وحملات استكشاف الى ان تحولت الى غزوات وحرب حقيقية بين المسلمين ومشركي قريش ، قال في بدر شعرا كثيرا منه داليته :

مستشعري حلق الماذي يقودهم ... جلد النخيزة ماض غير رعديد
أعني الرسول فان الله فضله ... على البرية بالتقوى وبالجود
وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم ... وماء بدر زعمتم غير مورود
وقد وردنا ولن نسمع لقولكم ... حتى شربنا رواء غير تصريد١٢

وفيها يعتز بالرسول ويشمت بقريش التي ادعت انها قادرة على حماية الماء ومنع المسلمين من الوصول اليه.

ويخلد انتصار المسلمين في بدر الكبرى فيقول في قصيدة أخرى :

ألا ليت شعري هل اتى أهل مكة ... ابا رتنا الكفار في ساعة العسر
قتلنا سراة القوم عند رحالهم ... فلم يرجوا الا بقاصمة الظهر
قتلنا ابا جهل وعتبة قبله ... وشيبة يكبو لليدين والنحر١٣

وله في غزوة أحد عدة أبيات بين رثاء قتلى المسلمين وهجاء الكفار المشركين (١٤) وأشعار اخرى في هجاء ابي سفيان بن الحارث (١٥) والمغيرة بن شعبة (١٦) وابنه الوليد (١٧) وأبي جهل ، فقال فيه :

سماه معشره أبا حكم ... والله سماه أبا جهل
فما يجيء الدهر معتمرا ... الا ومرجل جهله يغلي

كما هجا من المشركين ابا سفيان بن حرب وهندا بنت عتبة (١٨) وقال شعرا كثيرا غير هذا آزر فيه الرسول والمسلمين في بدر وأحد ومؤتة وفي فتح مكة (١٩)

ويتضمن ديوانه اشعارا اخرى في مدح الرسول منها البيتان المشهوران :

وأحسن منك لم ترقط عيني ... وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءا من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء

وفي مدح ابي بكر (٢٠) ورثاء الرسول وخلفائه (٢١)

وكان أبو طالب ـ عم الرسول ـ سباقا بشعره الى مناصرة الرسول ، حيث قال أبياتا كثيرة نفس بها عن نفسه مما كان يلقاه من اذى قريش وصور به مراحل الصراع الذي ابتدأ بين ابن اخيه ومشركي مكة بالمفاوضات والمساومات واستمر قبل وفاة ابي طالب بالمقاطعة الشاملة التي طبقها المشركون ضد بني هاشم وبني عبد المطلب .

وبعد الهجرة انتقل الصراع الى طور جديد ، وبرز حسان ليعوض اباطالب فكان شاعر الرسول والمسلمين ولسان الدعوة الجديدة فنزل بكل ثقله على كفار مكة وبقية مشركي العرب يعززه في المعركة الكلامية كل من كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة.

في هذا الوقت دخل الشعر المعركة ،وسخره الاسلام سلاحا لمقاومة كيد الكافرين ورد هجومات شعراء المشركين امثال ابي سفيان وضرار بن الخطاب وابن الزبعرى (أسلم فيما بعد) الذين عارضوا الرسول والمسلمين يهجونهم وينهشون اعراضهم ويسفهون اقوالهم وافعالهم. الأول قال شعرا في الجاهلية فسقط ولم يصل الينا منه الا القليل وابن سلام يشك في الشعر الذي رواه له ابن اسحاق ، ويذكر له أبياتا قالها في أثناء محاربة قريش الرسول والمسلمين منها قوله :

لعمرك اني يوم أحمل راية ... لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكا لمدلج الحيران أظلم ليله ... فهذا اوان حين أهدي واهتدي
هداني هاد غير نفسي وقادني ... الى الله من طردت كل مطرد

ويشير الى ان الرسول عليه السلام قال له : انت طردتني كل مطرد ؟!

كأنه ينكرها ، يردد ذلك (36) وابن سفيان كما هو معروف ابن عم الرسول ورضيعه كان شديد العداوة للرسول في بدء الدعوة ثم أسلم عام الفتح وشهد حنينا وأبلى فيها بلاء حسنا. وله شعر كثير في مناقضة حسان بن ثابت ، قال يوم أحد يرد على حسان :

---

(36) طبقات فحول الشعراء 247/1 . وانظر الابيات كذلك في السيرة القسم الثاني 401

شقيتم بها وغيركم أهل ذكرها فوارس من أبناء فهر بن مالك
حسبتم جلاد البيض حول بيوتكم كأخذكم في العير أرطال آنك (37)

والثاني والثالث قالا شعرا في هجاء الرسول والمسلمين ،ومن شعراء مكة من كان يحرض على قتال المسلمين والنهي عن الاسلام مثل ابي عزة. كان شاعرا مملقا ذا عيال، أسره المسلمون يوم بدر فتوسل الى الرسول (ص) ان يعفو عنه ، فامنه شريطة الا يعين عليه بشعره فعاهده ، فأطلقه الرسول (ص) فقال فيه :

ألا أبلغا عني النبي محمدا بأنك حق والمليك حميد
ولكن اذ نكرت بدرا وأهلها تأوب مابي حسرة وتعود. (38)

وأسر يوم أحد فقال يارسول الله من علي ، فقال النبي عليه السلام :« لايلسع المومن من جحر مرتين»، لاتمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين ، فقتله (39).

ومنهم هبيرة بن ابي وهب ، وهو شاعر من رجال قريش المعدودين له شعر كثير في هجاء المسلمين منه ما قاله في أُحد:

قدنا كنانة من أكناف ذي يمن عرض البلاد علي ما كان يزجيها
قالت كنانة :اني تذهبون بنا قلنا النخيل : فأمّوها وما فيها (40)

(37) نفسه 249/1 .
(38) الابيات في سيرة ابن هشام القسم 630/1 ـ وطبقات فحول الشعراء 253/1 ـ 254 .
(39) طبقات فحول الشعراء 255/1 . الآنك : الرصاص الأبيض.
(40) نفسه 257/1 وسيرة ابن هشام 136..

يشير فيه الى خروج قريش من مكةمتجهة الى مدينة الرسول للهجوم عليها. ومنهم أمية بن ابي الصلت الذي بكى قتلى بدر من المشركين في أبيات يروى أن الرسول نهى عن روايتها (41).

وقد دعم شعراء المشركين في عدائهم للاسلام والمسلمين نفر من شعراء اليهود أشهرهم كعب بن الاشرف الذي ينتسب أبا الى قبيلة طئ وأما الى بني النضير ، وكان ممن بكى قتلى بدر وشبب بنساء الرسول (ص) ونساء المسلمين فأمر الرسول بقتله فقتل (42).

والمعروف ان عداوة المشركين للرسول والمسلمين بلغت حدا اضطر معه هؤلاء الى الخروج من مكة ، فكانت الهجرةالى المدينة التي تعد طورا جديدا من اطوار الصراع بين الطرفين وخاصة بعد اسلام حمزة وعمر بن الخطاب،وكانت الهجرة منطلقا جديدا لقول الشعر استغله شعراء المشركين لمهاجمةالمسلمين ، وبداية لظهور (النقائض) حيث كان ضرار بن الخطاب أول من قال شعرا في الهجرة ، فرد عليه حسان بمثل قوله ينقض مزاعمه وهجاءه.

لقد اججت قريش اذن اوار الحرب الكلامية وسخرت مجموعة من شعرائها للوقوف في وجه الدعوة الاسلامية ومناوءة الرسالة الجديدة، ومن الطبيعي ان يثير هذا التصرف رد فعل المسلمين بقيادة الرسول (وص)) فبدأوا يعاملون المشركين بمثل ماعاملوهم‌به، فكانت معارك ومساجلات فنية تتخلل وتدعم معارك السيوف والمواقع ولما ادركت قريش أن بعض الشعراء الجاهليين اخذوا ينحازون الى صف الاسلام ويرغبون في مدح الرسول اعدت للحيلولة دون ذلك وسعت الىاستمالتهم اليها بشتى صنوف الاغراءات والوسائل ، مثل ما فعله أبوسفيان مع الاعشى .

يبدو من المستحيل ـ واقعيا ـ الفصل بين الشعر والشاعر ، مادام الشعر هو نتاج شاعر ما ، لذلك فالموقف من‌الشعر ، سواء أكان ايجابيا أم سلبيا ، هو دوما موقف من الشاعر ، اي من شاعر بذاته.

(41) طبقات ابن سلام 263/1 وديوان الشاعر 20 ..
(42) طبقات فحول الشعراء 282/1 ـ 283 ، والسيرة النبوية القسم الثاني 54... في القرآن آيات نزلت في المدينة تصف سوء معاملة اليهود للرسول (ص) ومالقيه من شاعرهم كعب بن الاشرف من أذى . انظر : أسباب النزول 22 ـ 90 ـ 308 .

وفي كثير من الحالات ، يبدو أن المهم في هذا ، ليس هو الموقف، بل المقاييس التي تحركه وتتحكم في صياغته وتحديد أبعاده وملابساته ومعنى هذا ان التساؤلات عن الموقف هي في جوهرها تساؤلات حول طبيعة الخلفيات الكامنة وراءه ، وهو امر ينسحب على موقف الاسلام من الشعر كما يمثله الرسول عليه‌السلام.

فما هو اذن هذا الموقف (أوالمواقف) الذي وقفه الرسول من الشعر والشعراء، وما هي المقاييس الثابتة والمبادئ الراسخة التي أملت على الرسول (ص) تلك القرارات والاجراءات التي اتخذها في حق الشعر والشعراء ، وألهمته عليه السلام آراءه وأقواله في هذا الموضوع ؟

موقفه (ص) من الشعر:

اثر عنه (ص) في موضوع الشعر أحاديث كثيرة منها قوله :

« انما الشعر كلام مؤلف ،فما وافق الحق منه فهو حسن‌وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه » 43) وقال كذلك : « انما الشعر كلام فمن الكلام خبيث وطيب » (44)

وروي عنه قوله :« لأن يمتلي جوف أحدكم قيحا حتى يريه ، خير له من أن يمتليء شعرا » (45) وفي كتب التاريخ أنه أجاب رجلا جاء يسأله عن حقيقة نبوته فقال :

« ... ثم إنها ولدتني فنشأت فلما نشأت بغضت الى أوثان قريش وبغض الى الشعر » (46) وقال كذلك :

« الشعر كلام من كلام العرب جزل ، تتكلم به في بواديها وتسل به الضغائن

---

(43) العمدة 27/1 .
(44) نفسه.
(45) نفسه 31/1 ـ 32، والحديث في مسند أحمد بن حنبل 331/2 وصحيح مسلم 1769/4
(46) تاريخ الطبرى 575/1

من‌بينها » (47) ويروي له (ص) : « لاتدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين » (48)

ونسبت اليه (ص) أقوال يظهر عليها الوضع ، منها « الشعر قرآن الشيطان ».

2 ـ من‌الشعراء :

تحفل كتب السيرة والمغازي وكتب تاريخ الادب العربي القديم ونقده بأقوال وآراء وقصص كثيرة تنسب الى الرسول، نتبين منها مواقفه من جماعة من الشعراء الجاهليين والاسلاميين، منها قوله في امريء القيس :

« ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها منسي في الآخرة خامل فيها ، يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء الى النار » (49).

وقصته مع كعب بن زهير مشهورة . فقد تهدده وأهدر دمه لما بلغه عنه من هجاء، ولما اتاه تائبا عفا عنه ،وخلع عليه بردته (50) وبلغ به اعجابه بالشاعر (زيد الخيل) أن سماه « زيد الخير » وقال فيه « ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته فيالاسلام الا رأيته دون الصفة ليسك» (51) وقال في عنترة :

« ما وصف لي اعرابي قط فأحببت أن أراه الا عنترة » ونوه بلبيد بقوله :« أصدق كلمة قالها الشاعر ، قول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لامحالة زائل»

ولما سمع بيت طرفة :« ستبدي لك الايام ... » قال

« هذا من كلام النبوة » (52)

وتنم معاملته لبعض الشعراء، منهم النابغة الجعدي عن حب عميق للشعر واكبار للشعراء ، انشد هذا الشاعر الرسول شعرا اعجبه ، فدعا له بالخير قائلا : «

---

(47) ـ العمدة 28/1 .
(48) نفسه 30/1
(49) الشعر والشعراء 68/1 .
(50) طبقات فحول الشعراء 99/1 والشعر والشعراء 89/1
(51) الشعر والشعراء 205/1 .
(52) الاسلام والشعر 71 ـ 72 ـ مطبعة الارشاد ـ بغداد 1964 .

لايفضض الله فاك » (53

ومن الشائع المتداول أنه قرب شعراء آخرين وأمرهم بقول الشعر وشجعهم عليه منافحة عن الاسلام وصدا لهجوم شعراء المشركين حتى صار هؤلاء لسان الدعوة وحماة الدين، وهم على الخصوص حسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكان يصر على توجيه شعرهم وتقويم أفكارهم .

والسبب كما أوضحنا هو ايذاء قريش وسوء معاملتهم للرسول والمسلمين. فلما تمادت قريش في الهجاء والتضييق على الرسول وصحابته ، استنهض النبي شعراء المسلمين وطلب منهم حماية اعراض المسلمين ورد كيد المشركين ،وحين يتقدم اليه ثلاثة من الشعراء ينظر في شعرهم ويقدر مكانتهم ومعانيهم فيقول لعبد الله بن رواحة :

أنت شاعر كريم، ويقول لكعب بن مالك : وأنت تحسن صفة الحرب،ويقول لحسان : نعم اهجهم انت ، فانه سيعينك عليهم روح القدس ، ثم يوجه حسانا الى ابي بكر ليعلمه ايام العرب ومثالبهم (54)

ولما سمع شعر أمية بن الصلت :

الحمد للـه ممسـانـا ومصـبـحـنـا بالخير صـبـحـنـا ربـي ومسـانـا

قال عليه السلام : ان كاد أمية ليسلم ، وقال فيه كذلك :

«آمن شعره وكفر قلبه » لان أمية ادرك الاسلام ولم يسلم (55) واحتفاؤه بالخنساء ذو أهمية بالغة وربما كان من نتائجه مساهمة أبنائها الاربعة في حروب الفتوح.

وتذكر له المصادرالقديمة أخبارافي الاعشى وغيره من المخضرمين ، مثل زيد بن عمرو الذي قال فيه « انه يبعث يوم القيامة أمة وحده ».

---

(53) الشعر والشعراء 208/1 . وراجع كذلك : حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة ص 12 ومابعدها.

(54) طبقات فحول الشعراء 217/1 ومابعدها، والعقد الفريد 294/5 .

(55) حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة 13 والاسلام والشعر 73 .

تقدير موقفه عليه السلام من الشعر والشعراء :

من تدبر هذه الاحاديث والاقوال يمكن استخلاص النتائج التالية :

1 ـ ان موقف الرسول مستمد في جوهره ومجمله من مبادئ القرآن عامة ومن الايات التي سبق ذكرها ، على وجه الخصوص.

2 ـ انه يتراوح بين الشدة واللين،فهو تارة موقف سلبي مناوئ للشعر ينفر منه وينهي عن روايته وانشاده وتارة موقف ايجابي يرى في الشعر وسيلة تهذيب ودعوة الى الفضائل والمكارم.

3 ـ ان هذا الموقف لايختص بشعر كفار قريش الذي عارض الرسول ورفض التصديق بالدعوة، ولكنه موقف عام من الشعر ، لان الرسول قبل من الشعر الجاهلي ما وافق روح الاسلام وانسجم مع قيم ومبادئ القرآن، ومن الشعر الاسلامي ما تمثلت فيه حقيقة الدين والتزم بخط الدعوة الجديدة. ومن مؤيدات هذا الاستنتاج ان الوحي نفسه لم يحرم الشعر ، ولم ينص على منع روايته وانشاده ، ولاينال من صحة هذا الرأي الاحتجاج بالايات الواردة في سورة الشعراء ، فمثل هذا الاحتجاج ـ كما يقول ابن رشيق ـ غلط وسوء تأول ، لان المقصودين بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا الرسول (ص) بالهجاء ومسوه بالاذى (56) بدليل ان الآية التالية تستثني شعراء الرسول الذين انتصروا للاسلام وأجابوا عنه المشركين أمثال حسان وكعب بن مالك وابن رواحة الذين قال فيهم الرسول :

« هؤلاء النفر اشد على قريش من نضح النبل ».(57)

4 ـ لو تقصينا جميع احاديث الرسول في موضوع الشعر والشعراء لامكننا استخلاص مفهوم الشعر كما كان يتصوره النبي والمقومات التي يرتكز عليها هذا المفهوم ، فالشعر في اعتبار الرسول كلام مؤلف أي مصنوع ومنظم ، وهو كذلك كلام جزل من كلام العرب ، وقبوله أو رفضه يتوقف على مقدار ما فيه من قيم الفضيلة

---

(56) العمدة 31/1

(57) نفسه .

والحق وعلى ما يدعو اليه من شيم الاخاء والمساواة والعدل والوحدة لذلك قال عليه السلام « فما وافق الحق فهوحسن ،وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه » فالمعيار هنا واضح وهو مدى مطابقة الشعر لمبادئ القرآن وقيم الاسلام ومدى التزامه بمقتضيات الدعوة الجديدة ومساهمته فيمعركة الوجود ضد الكفر والشرك والعدوان والمقياس الذي يسند هذا المفهوم وعليه ينهض التصور ،أخلاقي وديني وسياسي في آن واحد ، لان الدعوة الاسلامية ، تشمل كل هذه الجوانب وتجمع بين كل هذه الاطراف الخلقية والسياسية والاجتماعية والحضارية العامة ، باعتبارها (الدعوة) كلا واحدا وجزءا لايتجزأ.

لذلك كان مفهوم الرسول (ص) للشعر منسجما مع قواعد الدين متوافقا مع منطوق ومدلول آيات القرآن ، وهو وان بدا مرنا أحيانا عنيفا تارة ولينا تارة اخرى ، فذلك بسبب ظروف المعركة التي فرضتها قريش ، وطبيعةالصراع الذي خاضه المسلمون ضد المشركين، وفي جميع الحالات فهو مفهوم واضح يصدر عن مبادئ ثابتة ويدافع عن غايات سامية.

وهذا المفهوم تدعمه الوقائع التاريخية والاحاديث النبوية نفسهاوالاخبار المروية عنه منذلك ما رواه صاحب « حسن الصحابة »* فقد استسقى (ص) يوما فسقي فقال لله در ابي طالب لوكان حيا لقرت عينه من الذي ينشد شعره فقال علي : كأنك اردت قوله :

وأبيض يستسقـي الغمـام بوجـهـه ثمال اليتـامـى عصـمـة الـأرامـل

وفي يوم بدر نظر الىالقتلى فقال لابي بكر ، لو أن ابا طالب حي لعلم أن اسيافنا اخذت بالامثال وذلك لقول ابي طالب :

وانـا لـنعمـر اللـه ان حـد مـا أرى لتلتـبسـن أسيافـنـا بـالامـاثـل

★ حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة : تأليف : موستارلي جابي زاده على فهمي 12/1 ومابعدها.
الاماثل : الاشراف . والبيت من قصيدة قالها أبو طالب في وقعه الشعب يمدح فيها رسول الله .

ومن هذه الاخبار كذلك أنه قال يوما لحسان بن ثابت : انشدني قصيدة من شعر الجاهلية، فان الله قد وضع عنا آثامها في شعرها ، وروايته ، فانشده قصيدة الاعشى في هجاء علقمة العامرى ، فقال الرسول (ص) لاتعد تنشدني هذه القصيدة بعد مجلسك هذا.والسبب هو ان القصيدة تجانف قيم الاسلام وتثير النعرات الجاهلية والسخائم القديمة ، والرسول يربـأ بحسان وبمجلسه ان ينشد فيه مثل هذا الشعر، وبلغ تعلقه بشعر عبد الله بن رواحة حدا جعله يجيز بعض الابيات قالها هذا الشاعر، ونهى عمر بن الخطاب عن انشادها .

3 ـ موقف الخلفاء والصحابة :

لفظ الصحابة أعم من لفظ الخلفاء ، لان الصحابي هو من لقي النبي (ص) مومنا به ومات على الاسلام.

لم يكن موقفُ الخلفاء وبقيةالصحابة من الشعر ليختلف عن موقف الكتاب والرسول لان آيات القرآن وسنة الرسول كانتا المصدر الاول الذي استمد منه الخلفاء الراشدون ، وعلى الاخص عمر وعثمان وكبار الصحابة ، حقيقة موقفهم من الشعر.فكثير من هؤلاء كان يحب الشعرْ ويحفظه ويتذوقه ويرويه ومنهم من عرف بقول الشعر ، فأبو بكر كانت صلته بهذا الفن كبيرة حفظا وتمثلا وابداعا ، ومن شعره مقطوعات قالها في رثاء الرسول عليه السلام ، وعمر يعد من أكثر الصحابةميلا الى الشعر ، ومن أشدهم اهتماما بروايته ونقده حتى قيل عنه لايكاد يعرض له أمر الا انشد فيه بيت شعر(58) .

وآراؤه في بعض شعراء الجاهلية مشهورة ،منها قوله في امرئ القيس : انه سابق الشعراء ، خسف لهم عين الشعر (59).

وحث على تعليم الاولاد الشعر فأمر أبا موسى الاشعري بقوله : مر من قبلك بتعليم الشعر فانه يدل على معالي الاخلاق وصواب الرأي ومعرفة الانساب .

(58) البيان والتبيين 241/1. وانظر كذلك حسن الصحابة ص 7 و14 .
(59) الشعر والشعراء 68/1 .

واهتمامه بالشعر لايوازيه الا اعجابه بكثير من كبار شعراء الجاهلية :

أعجب بشعر زهير خاصة لما ينطوي عليه من حكم وتحريض على الخلق الرفيع والمثل الانسانية السامية ، وكلها خصال جسمها الاسلام وعمل الرسول على ترسيخها ونشرها في الناس ، فقال الخليفة الثاني متعجباً لما سمع بيت الشاعر (60) :

وإن الحق مقطعه ثلاث يميـــن او نـــفـــار او جـــلاء

ومن علمه الحقوق وتفصيله بينها واقامته أقسامها ، ووصفه بأنه قاضي الشعراء،وفي مصادرالادب اخبار كثيرة عن اعجابه بهذا الشاعر الجاهلي روي عن ابى عباس قال : قال‌لي عمر : انشدني لاشعر شعرائكم ، قلت من يا أمير المومنين ؟ قال : زهير . قلت : وكان كذلك قال : كان لايعاظل بين الكلام ، ولايتبع وحشيه ولايمدح الرجل الا بما فيه (61) ولعل سبب اهتمام عمر بزهير أن هذا الشاعر كان يتأله ويتعفف في شعره ويؤمن بالبعث كما يدل على ذلك قوله :

يؤخـر فيـودع فـي كتاب فيدخـر ليوم الحساب او يعجل فينقم (62)

وأعجب عمر كذلك ببيت النابغة الذبياني :

فلستـ بمستـبـقـ أخـا لا تلمـه إلى شعث اي الرجال المهذب (63)

وقال عن صاحبه انه أشعر الشعراء (64)

وأجزل العطاء للبيد لما أرسل اليه يسأله عما أحدث من‌الشعر في الاسلام فقال له لبيد :

---

(60) الشعر والشعراء 79/1 وخزانة الادب 128/2 .
(61) طبقات فحول الشعراء 63/1 .
(62) الشعر والشعراء 78/1 .
(63) ديوانه 57 .
(64) طبقات فحول الشعراء 56/1 .

لقد أبدلني‌الله بالشعر سورة البقرة وآل‌عمران (65)

وإذا كان هذا ديدنه مع شعراء توسم في شعرهم الخير والعدل ودعوة الى الخلق الرفيع ، فقد وقف بالمقابل ضد شعراء ظلوا مخلصين لقيم الجاهلية ، متمسكين بسخائمها ، ساعين الى تفرقة المسلمين، عاملين على نهش الاعراض وفتك الحرمات ، مثل الحطيئة والنجاشي ، عالج أمر الاول حين شكاه اليه الزبرقان ، فاستشار فيه حسانا فأقام الحجة عليه فحكم‌عليه بالسجن وقال له قوله ذات دلالة :

باخبيث لاشغلنك عن أعراض المسلمين (66) وهدد الثاني لما استعداه عليه بنو العجلان، بقطع لسانه ان هو عاد الى هجائهم (67) وبلغ تشدده مع متعاطي الشعر ورواته انه جلد ابا محجن الثقفي وكان شاعرا مولعا بالشراب مشتهرا به ونفاه من‌المدينة لقوله :

إذا مت فادفنـي الـى أصل كرمـة تروي عظامي بعـد موتـي عروقهـا

وعزل عامله على ميسان لابيات قالها ترفيها عن نفسه (68) وأمر بقتل عبد بني الحسحاس لتعهره (69) وسمع ذات مرة امرأة تنشد :

هل من سبيل الـى خمـر فأشربهـا أم من سبيل الى نصر بن حـجـاج ؟
الى فتى مـا جـد الاعراق مقتبل سهل المحيـا كريـم غيـر ملجـاج

فطلب نصر بن حجاج وسيره الى البصرة لئلا تفتتن النساء به لجماله (70)

---

(65) نفسه 135/1 .
(66) طبقات فحول الشعراء 116/1 والشعر والشعراء 245/1 .
(67) الشعر والشعراء 247/1 ـ 248 .
(68) الاسلام والشعر 96 ـ 97 .
(69) الشعر والشعراء 321/1 .
(70) الاسلام والشعر 98 .

ومثل هذا فعله عثمان كذلك ببعض الشعراء الذين تمادوا في هجاء الناس ومنهم ضابئ بن الحارث البرجمي الذي هجابني جرول بن نهشل، فاستعدوا عليه عثمان فحبسه وقال فيه : والله لو ان رسول الله (ص) حي ، لاحسبنه نزل فيك قرآن وما رأيت أحدا رمى قوما بكلب قبلك (71) . هذه النصوص وغيرها ، من راويات وأخبار ، تثبت ان خلفاء الرسول وصحابته كانوا يصدرون في مواقفهم من الشعر والشعراء عن رؤية دينية مطابقة لمبادئ الاسلام وقواعد القرآن ،ومن هنا اعجابهم بالشعر الذي يعكس قيم الدعوة ويصبح صدى لتعاليمها وحملتهم على الشعراء الذين رفضوا الانصياع لاوامر الدين ونواهيه .

ويمتاز عمر بن الخطاب ، علاوة على موقفه الحازم منالشعر والشعراء والقائم على رؤية دينية حازمة تجمع بين الصلابة واللين، برؤية اخرى نقدية مبنية على علم جيد وبصر بالشعر ، وبهذا استطاع ان يمثل بحق النظرة الاسلامية التي تعامل الشعراء على ضوء موقفهم من العقيدة وعلى مدى تمثلهم لقيمها واسعابهم لاهدافها . وما عنايته بالشعر الجاهلي الا لكونه مصدرا هاما من مصادر تفسير القرآن الكريم. فقد سأل يوما عن معنى التخوف في قوله تعالى « أو يأخذكم على تخوف » فقام رجل من هذيل وفسر الكلمة بالتنقص مستعينا ببيت من الشعر الجاهلي جاء فيه :

تخوف منها رجل تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن (72)

III ـ موقف الاسلام من الشعر والشعراء وآراء الباحثين فيه :

ونظرة الاسلام الى الشعر كما تمثلها آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول (ص) وسلوك الخلفاء ازاء الشعراء جعلت الباحثين المعاصرين يختلفون في فهمها ويستنتجون منها آراء ونظريات متعددة بعضها يذهب الى أن القرآن وقف موقفا

(71) الشعر والشعراء 268/1 وقال في تهديده كذلك : ولو كان أحد قبلي قطع لسان شاعر في الهجاء لقطعت لسانك فحبسه في السجن: طبقات فحول الشعراء 174/1 .

(72) الاسلام والشعر 93 .

ايجابيا من الشعر والشعراء وهذا هو مذهب فريق من الدارسين والباحثين منهم يحيى الجبوري، فتوح أحمد ، بنت الشاطيء وشوقي ضيف.

يقول الاول : « لقد كان موقف الاسلام من الشعر ايجابيا، فقد وجههوشجعه حين كان التشجيع في صالح الامة وقد غض منه وردع فيه غلوه حين انهى دوره في معركة الاسلام ».(73)

ويعتمد الثاني على مواقف الرسول (ص) ليؤكد : « أن الاسلام كدعوة لم يشجب الشعر كفن ، بل رد منه هذا الذي يحرض على الرذيلة ويشجع على الغواية ويدافع عن الشرك ويشد عن الطبع السليم ...» (74) ودافعت بنت الشاطيء عن هذا الموقف مؤكدة أن الاسلام لم يحل دون انتشار وازدهارالشعر، والدليل هو أن « الشعر لم يغب عن الميدان منذ بزغ فجر الاسلام ينسخ ظلمات الجاهلية ويمحق الوثنية دينالمشركين العرب ،بل كان الشعر مع الاحداث الكبرى لكنه لم يأخذ وضعه الملحمي الا مع الجولة الاولى للصدام المسلح بين المسلمين والمشركين يوم بدر حيث بدأ يمارس دوره الفعال في التعبئة الوجدانية ويخوض معركته في ذروة العنفوان ويرج الميدان بدوي أشد من نضج النبل وصليل السيوف »(75).

وقرر شوقي ضيف رأيه في كتابه المعروف (76) وهناك فريق آخر يرى ان الاسلام في بدء ظهوره هاجم الشعر والشعراء وكان لهذا الهجوم نتائج سيئة جعلت الناس ينفرون من هذا الفن الجميل ويهجرونه من هذا الفريق أحمد حسن الزيات (77) ، وزكي مبارك الذي ردد هو الاخر نفس التهمة فقال :

« ونعود فنذكر ان الحملة التي وجهت الى الشعر على اثر ما كان من لدد شعراء اليهود وتوثب شعراء المشركين اثرت تأثيرا عميقا في حياة الملمين من الوجهة الادبية فرأيناهم يسرفون في بغض الشعر والنيل من الشعراء ..ثم جرى على

(73) الاسلام والشعر 34 .

(74) الشعر الاموي: دراسة في التقاليد والاصالة الادبية 37 ـ 1977 .

(75) من مقال لها بجريدة الاهرام. رمضان 1977/1397 بعنوان «بدر والشعر».

(76) العصر الاسلامي 42 ـ 43 ط 8 دار المعارف .

(77) في كتابه: تاريخ الادب العربي 102 ـ 103 ط 24 .

ألسنة الجماهير ان الشعر لايليق بالفقهاء والمحدثين ..وهذا كله من أثر الحملة التي وجهت الى الشعر والشعراء ». (78)

وربما كان السبب في ظهور مثل هذه الاستنتاجات، وهي لاتعدو ان تكون في رأي باحثين آخرين أوهاما وتلفيقات ، ليس الا الآية المشهورة الواردة في سورة الشعراء التي اسيء فهمها كثيرا وتعرضت لتأويلات وتخريجات خاطئة فالشعراء الذين تعنيهم الآية هم اولئك الذين دافعوا عن كفار قريش وانتصروا للشرك وظلوا على جاهليتهم ، يجاهرون بالعداء للاسلام ، ومنهم من حارب المسلمين في الغزوات ورثى قتلى قريش في بدر وفخر برجالاتها وأبطالهافي أحد،مثل الاسود بن يعفر، (79)، وأبي سفيان بن الحارث (80) وضرار الخطاب (81) وابي عزة (82) ، وأمية بن ابي الصلت (83) والحطيئة (84) وكثير من هؤلاء أسلم فيما بعد.

الاول فخر بقريش ومدح الحارث بن هشام بن المغيرة أحد كبارها ووجهائها وحرض المشركين على قتال المسلمين في أُحُدٍ فقال :

إن الأكارم من قريش كلها ... قاموا فراموا الامر كل مرام
حتى اذا كثر التحاول بينهم ... فصل الامور الحارث بن هشام
وسما ليثرب لايريد طعامها ... الا ليصلح أهلها بسوام
وغزا اليهود فأسلموا أبناءهم ... صمي لما لقيت يهود صمام (85)

والابيات تشير الى خروج المشركين من مكة لمحاربة المسلمين في أحد وأخذ الثأر لقتلاهم في بدر وفيها تصريح بأن المشركين غزوا اليهود كذلك وردوهم على

(78) الموازنة بين الشعراء 31 .
(79) انظر ترجمته في طبقات ابن سلام 147/1 والشعر والشعراء 176/1
(80) انظر طبقات ابن سلام 247/1 .
(81) ترجمته في طبقات ابن سلام 250/1 ومابعدها والسيرة النبوية القسم 13/1 .
(82) ترجمته في طبقات ابن سلام 253/1.. والسيرة النبوية القسم 660/1 .
(83) ترجمته في طبقات ابن سلام 262/1 والشعر 369/1 .
(84) ترجمته في الشعر والشعراء 238/1 .
(85) طبقات ابن سلام 149/1 .

اعقابهم ، والصحيح ان اليهود لم يفروا في أُحُدٍ ولكن الرسول (ص) هو الذي ردهم ورفض ان يحاربو مع المسلمين وقال عليه السلام : لانستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك (86).

وأبو عزة نكث العهد الذي قطعه على نفسه أمام الرسول حين خرج يوم أحد يحرض بني كنانة على القتال ويفخر بهم فيقول :

يابني عبد مناة الرزام ... انتم حماة وأبوكم حام
لاتعدوني نصركم بعد العام ... لاتسلموني لايحل اسلام (87)

ومن هؤلاء الشعراء من كان يضيق على المسلمين ويهزأ بإسلامهم ،

فهذا قيس بن الخطم (88) أحد شعراء المدينة ، أسلمت امراته فكان يعبث بها ويحاول صدها عن الاسلام ، يأتيها وهي ساجدة فيقلبها على رأسها ، وكان الرسول (ص) في مكة قبل الهجرة ، يسال عن اخبار الانصار وعن أحوالهم فبلغه اسلام المرأة وما تلقى من قيس، فلما كان الموسم اتاه (ص) في مضربه ، فلما رأى الشاعر النبي (ص) رحب به وأعظمه فقال له الرسول : ان امرأتك قد أسلمت ، وانك تؤذيها ، فأحب الا تعرض لها. قال: نعم وكرامة يا أبا القاسم ، لست بعائد في شيء تكرهه فلما قدم المدينة قال لها : ان صاحبك قد لقيني فطلب الي ان لا أعرض لك ، فشأنك وأمرك (89) .

واستند باحثون آخرون الى نص مشهور لابن سلام الجمحي،والى روايات وأخبار تنسب الى بعض رواة الشعر ونقاده ليقرروا ان الشعر ضعف في صدر الاسلام واصابه فتور بسبب موقف الاسلام منه ،ومع ان ضعف الشعر زمن النبوة وفي العصر الراشدي يمكن ان يعزى الى أسباب أخرى فان بعض الآراء المبثوثة في كتب تاريخ الشعر ونقده ، وكتب السيرة ، وخاصة سيرة ابن هاشم، كانت منطلقا لصياغة نظرية تقول بفتور الشعر ووهنه في تلك الفترة.

(86) نفسه .
(87) نفسه 254/1 ـ 255 . الرزام : جمع رازم : الشجاع .
(88) ترجمته في طبقات ابن سلام 230/1 والاصمعيات 196 .
(89) طبقات ابن سلام 230/1 ـ 231 .